دور فن النحت في تربية الذوق الجمالي

إعداد

د/يوسف ناصر المليفي

باحث من دولة الكويت

مجلة بحوث التربية النوعية ـ جامعة المنصورة

عدد (٢٨) ـ يناير ٢٠١٣

دور فن النحت في تربية الذوق الجمالي

إعداد

د/يوسف ناصر المليفي*

المقدمة

ترتب الفنون بالمجتمع من حيث أنها تعكس، وتعبر عن السمات النوعية لفئات اجتماعية معينة في زمن معين.

وبذلك يتحرك الذوق الجمالي على أرضية التاريخ... من خلال أنه يرتبط ارتباطا وثيقا ببنى فوقية ايدولوجية وبنى تحتية اقتصادية..." وتتعلق كل ابنى الفقية الايدولوجية . وفق هذه الرؤية . بالظروف الاقتصادية (وسائل الإنتاج وعلاقات الإنتاج). ومن بين تلك (البنى الفوقية الايدولوجية) تتعرض البنى الفوقية الجمالية، من أدب موسيقى ورسم ونحت لتأثير العامل الاقتصادي بصورة غير مباشرة وعلى نحو بالغ التعقيد"[١] .

إلا أن العامل الاقتصادي الشديد البروز في المجتمعات البدائية، يتوارى عن الأنظار في المجتمعات المتفاوتة التطور ويحتجب خلف العامل السيكولوجي الاجتماعي... حيث لا سبيل لدراسة الذوق الجمالي لشعب معين في عصر معين أو بشكل عام . بدون دراسة متأنية لسيكولوجيا ذلك المجتمع بطبقاته الاجتماعية المختلفة وما يدور بينها من صراعات تؤثر على الايدولوجيات وتتجلى في تشكيلاته.

وبذلك تتضح مشكلة البحث وتتركز في الآتي : لماذا يتدهور الذوق الجمالي لطبقة اجتماعية معينة حين تؤول هذه الطبقة ذاتها إلى الأفول... حيث أن رقي الذوق الجمالي وتطوره يتطلب تقدما وتطورا أيضا على المستوى الاجتماعي.

ولما كان هذا البحث يتعلق بدراسة دور النحت في تربية الذوق الجمالي، ثم الإشارة إلى دور أنواع ومجالات الفنون في تربية الذوق الجمالي ومن خلال ذلك يتعرض الباحث في الإطار النظري للبحث إلى الخصائص الجمالية التي تميز بها فن النحت دون غيره من الفنون بما يجعله متفردا ... ثم الولوج إلى نظرية التلقي لتوضيح كيفية تلقي فن النحت وبالتالي التوصل إلى الدور الفاعل لذلك النوع من الإبداع في تربية الذوق الجمالي.

* باحث من دولة الكويت

مشكلة البحث:

أن الذوق الجمالي يرتبط ارتباطا وثيقا بشبكة كاملة من الأفكار التي تتجسد في صر ومجلات الفنن الإبداعية المختلفة.

وقد أثبتت دراسات الفن أن الإنسان الأول كان ينظر في بادئ الأمر إلى الأشياء من زاوية منفعتها، وانه لم يأخذ بوجهة النظر الجمالية تجاه بعض من تلك الأشياء ، إلا في زمن لاحق بعد أن ارتقى الذوق الجمالي لديه عبر تراكم الخبرات التقنية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي الذي سبق ظهور الفن بكل تأكيد. وتكمن مشكلة البحث في التساؤل الرئيس التالي:

كيف يمكن لفن النحت أن يؤدي إلى تربية الذوق الجمالي؟

هدف البحث

١- الكشف عن إمكانية وفاعلية وقدرة فن النحت في تربية الذوق الجمالي.

٢ - معرفة الدور الهام والحقيقي لفن النحت باعتباره أحد مجالات الفنون الإبداعية.

٣- تربية وتنمية الذوق الجمالي لدي المشاهد بشكل عام.

فرض البحث

يفترض الباحث أن : يوجد دور لفن النحت في تربية الذوق الجمالي.

حدود البحث

يتعرض الباحث لمختارات من الأعمال الفنية من الحضارات والمدارس الفنية المختلفة (بشكل عام) الممكن الاستفادة منها في نتائج البحث وتأكيد فكرة الارتقاء بالذوق الجمالي .

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره انسب المناهج لدراسة وتحليل الأعمال الفنية وكذلك لدراسة مشكلة البحث والتوصل إلى نتائج علمية.

الإطار النظري للبحث:

أولا: تعريف الذوق الجمالي:

يتراءى للباحث منذ الوهلة الأولى أن مصطلح الذوق الجمالي يترادف مصطلح (الإدراك الجمالي). ومصطلح الإدراك الجمالي بدوره يقابل مصطلح (الإدراك العقلي) الذي يعرف الأشياء كما هي عليه في الواقع (كحقائق).

أما الإدراك الجمالي فهو (إدراك حسي نقدي) يلتق ما في الأشياء من قيم، ... والقيم نوعان : قيم جمالية وأساسها النشوة، وأخلاقية وأساسها التفضيل، وكلا النوعين لا يستندان إلى العقل [١] .

ويرى الباحث أن الذوق الجمالي إنما يقوم على الإدراك العقلي والإدراك الجمالي معا. فان تناول الموضوع الجمالي(الأثر الجمالي) وتحليله إلى عناصر من حيث تاريخ إنتاجه وخصائصه المميزة وشخصية الفنان الذي أنتجه، وتوضيح موقع ذلك العمل بين أعمال الفنان السابقة والتالية عليه، وكذا توضيح أثر السابقين على الفنان في ذلك العمل أو أثره حضارة معينة على أعماله بشكل عام ومن بينها بالتالي ذلك العمل .. الخ .

وهذا التناول يكون الإدراك العقلي المطلوب للولوج إلى الإدراك الجمالي حيث يستشعر المشاهد في نفسه اللذة والنشوة ... أي تذوق القيمة التي تكمن وراء الحدود والمعطيات الواقعية التي لا يختلف عليها اثنان من منطلق أنها تاريخ قد حدث بالفعل.

أي أن الإدراك العقلي إنما يعتبر المرحلة الأولى التي يتلوها الإدراك الجمالي... أو على الأقل فلا تناقض بينهما، حيث بموجبهما معا يتم التوصل إلى الحكم الجمالي الذي يصدره المشاهد أو الناقد على الأثر الجمالي (موضوع المشاهدة) بما يحقق المتعة الجمالية المباشرة التي استهدفها إنتاج الموضوع الجمالي في البداية.

أي أن الإنسان(المتلقي أو المتذوق) يمتلك صورة عقلية مثلى، يقيس عليها جماليات العمل الفني الذي يشاهده. وهنا يجب أن نذكر اسم (أفلاطون) ونظريته عن المثل حيث يفسر الفن تفسيرا أخلاقيا باعتباره محاكاة تصدر عن معرفة بالحقيقة(حقيقة المثال أو الأصل الذي يحاكيه). والفن الأصيل عنده هو الذي يبعد عن محاكاة المظاهر الخادعة.

أي أن " جمال الشيء مستمد من مدى اقترابه من النموذج الذي يرتسم في ذهن المشاهد. [٢] " فالحكم بجمال الشيء يعني النفاذ إلى عمقه ومحتواه وباطنه، أي تذوقه.

والتذوق هو احد ثلاث أضلاع مثلث التجربة الجمالية ، والتي هي بالترتيب الفنان والموضوع والمتذوق. وتربية الذوق الجمالي ضرورة لإصدار حكم جمالي سليم وسديد ومطابق للعمل الفني وما أبدعه وأراد أن يوصله الفنان. ولذلك يجب أن تبدأ تربية الذوق الجمالي منذ مرحلة الطفولة حيث يتفتح السمع والبصر وهما ملكتا الإحساس في الإنسان في وقت مبكر لدى الطفل.

" والواقع أن التفاوت الملاحظ بين الأفراد بصدد أحكامهم الجمالية. وان كان يستند إلى حد ما إلى تأثير قدراتهم الخاصة التي يمكن قياسها سيكولوجيا سواء كانت فطرية أو وراثية أو مكتسبة. ، إلا انه قد تأكد لدى علماء التربية، إن قسطا كبيرا من هذا التفاوت إنما يرجع إلى نقص في التربية الجمالية ينسحب بدرجة أكبر على البيئة بمعناها الواسع "[٣].

إن تربية الذوق الجمالي تعتبر وسيلة لإيقاظ الإحساس بالجمال عند الطفل، وبالتالي يستطيع أن يتذوق الأعمال الفنية ويتوصل إلى الشعور بالجمال وبالتالي التوصل إلى الحكم الجمالي السليم... غير أن تربية الذوق الجمالي تعتبر وسيلة لإيقاظ الإحساس بالجمال عند الطفل ، وبالتالي يستطيع أن يتذوق الأعمال الفنية ويتوصل إلى الشعور بالجمال وبالتالي التوصل إلى الحكم الجمالي السليم.. غير أن تربية الذوق الجمالي ليس من شانها أن تؤدي إلى تحيد الأحكام الجمالية تماما لدى الأفراد.. فيجب الأخذ في الاعتبار الفروق الفردية، من الصفات الفطرية والمكتسبة كالحالة المزاجية والانفعالية والثقافة الخاصة.. الخ.

وهناك طرق عديدة لتربية الذوق الجمالي.. يأتي في مقدمتها . وفق ما يرى الباحث . طريقة تكرار المثول أمام الموضوع .. أي الممارسة المتكررة لعملية التذوق... فيجب أن يحاط الطفل في منزله بالأشياء التي تنطق بالجمال والبساطة وان يتعود على سماع الموسيقى وارتياد المتاحف ومشاهدة الأعمال الفنية بصحبة احد الكبار العارفين بمواطن الجمال فيها .. كذلك يجب تغذية ناظريه بالمناظر الخلوية الخلابة حيث يتجلى الجمال في الطبيعة، فيصبح بذلك الطفل قادرا على إصدار أحكام جمالية سوية تقوم على إدراك متكامل لمعنى الجمال من خلال تراكم الخبرات الجمالية.

ثانياً: دور الفن في تربية الذوق الجمالي:

يحسن أن يشير الباحث أولا إلى أنواع ومجالات الفنون المختلفة ودورها في تربية الذوق الجمالي، ثم الانتقال من العام إلى الخاص لمناقشة دور فن النحت باعتباره يتمتع بخصوصه تجعله متفردا بين ألوان الفنون..

يميل الباحث إلى الرأي القائل بان الفن (موضوع الجمال) إنما نشأ في أحضان الدين، الذي كان العامل الهام . كنظام اجتماعي، في تشكيل حياة الإنسان. ولنا في تاريخ قدماء المصريين دليل وبرهان على صحة هذا الرأي ، حيث رأى المصري القديم فيما يقول (بريستيد) " آلهته لأول مرة في إطار بحثه عن علة لكل الظواهر الطبيعية المبهمة التي تحدث من حوله "[1]. وكانت الطقوس الجنائزية . وهي طقوس دينية . تقوم كلها على أعمال فنية من موسيقى ورقص ونحت وعمارة ورسم .. وكذلك كانت فنون الإغريق تجسيدا لآلهة تدور بينها صراعات تتصل بالأساطير، وكان للوثنية أثرها الكبير على الفن ، ويبدو ذلك واضحا في المظاهر الفنية لاحتفالات الوثنيين، وفيما ينعون من صور ورموز لآلهتهم ، وفي الرسم على الأجسام (الوشم) لما في ذلك من دلالات سحرية.

كما احتضنت الكنيسة . في العصور الوسطى الأوربية . الفن، فصارت قصص القديسين وصورهم موضوعا أساسيا للفن (سواء النحت أو التصوير)..وكذلك كان الفن الإسلامي معبرا عن روح الدين التي تكمن في سرمدية الله ومفهوم اللانهائية الذي يتجلى في الزخارف الإسلامية وفن الارابسك ، والدلالات الروحية في فن أغلفة الكتب الأثاث والأواني.

قد استفادت الأديان جميعها – بالفنون . كوسيلة سهلة للوصول على عقل وقلب الجمهور. ومن هنا كان للأديان دورها الفاعل في تربية الذوق الجمالي من خلال الفنون كوسائط لشرح المحتوى الروحي المعنوي لها. وذلك عن طريق تراكم الخبرة الجمالية لدى جمهور المتلقين من عامة الشعب حيث كان الفن جزءا من الحياة اليومية سواء كان ذلك في المعبد أو حلى فيما عرف بالفنون الدقيقة.

وفي إطار التربية الجمالية يرى الباحث أن المعابد(ودور العبادة عموما) من كنائس وأديرة ومساجد كانت تقوم بدور المدارس والمعاهد في العصر الحديث.

فكانت تنظم من خلالها عمليات التعليم والتربية الدينية والتربية الفنية. من خلال ورش لتعليم الفنون لتخريج المنوط بهم عملية التعبير عن روح الدين في الأعمال الفنية التي يأمر بها الكهنة ورجال الدين.

أما في العصر الحديث فأن التربية الجمالية يتلقاها الفرد عبر القنوات المتعددة تبدأ من الأسرة اهتمامها بالفنون المختلفة الأمر الذي ينعكس على أفرادها بشكل مبار وتقوم دور الحضانات والمدارس والكليات والمعاهد الفنية المتخصصة بإذكاء الذوق الجمالي عبر مادة التربية الفنية.

وكذلك الأنشطة الأخرى التي يمارسها الطلاب بالكليات غير المتخصصة بالجامعات .

وهناك هيئات أخرى بالمجتمع لها دورها الفاعل في هذا الحقل كالمتاحف حيث يتم تنظيم دورات لتعليم الفنون . وقصور الثقافة وكذلك مراكز الثقافة الأجنبية حيث تنظم الدورات الخاصة لتعليم مجالات الفنون المختلفة وكذلك الأنشطة الطوعية الأخرى من خلال تنظيم المعارض العامة.

كما تقوم المتاحف الكبرى كمؤسسات تربوية على نشر الوعي الثقافي والجمالي ورفع مستوى التذوق الفني من خلال تشجيع الفنانين بمختلف الوسائل، وإتاحة الفرص أمام المواهب الفنية واكتشافها وصقلها .

ثالثا: الخصائص الجمالية لفن النحت ودوره في تربية الذوق الجمالي:

نشأ النحت مع الإنسان بعد أن بدأت الحياة الإنسانية تستقر وأخذ الإنسان يبحث لنفسه عن دور ليحافظ على وجوده بحكم غريزة البقاء، وذلك خلال صراعه الطويل والمرير مع الطبيعة ،. هكذا يؤكد علماء ودارسوا الأديان والانثربولوجيا وقد عرف(توما الأكويني) الإنسان بأنه (عقل ويد) .

" والمعروف أن وظيفة العقل هي التفكير ، ووظيفة اليد هي الفعل اغو العمل . وفي المرحلة الأولى من الحياة الإنسانية كانت اليد هي الأداة التي فتحت العقل ونشطت وظيفته، فعن طريق اليد راح الإنسان الأول يستكشف ثم راح العقل يربط ما استكشفته الأيدي بين الفعل والنتيجة فتكونت من خلال ذلك معرفة مباشرة "[١].

والحق أن الإنسان في تلك الفترة المبكرة لم يكن يقصد إلى زخرفة أو تجميل . بل قصد الوظيفة بالأساس . فلم يكن يشغل بال النحات الذي يصنع حربه أو كينا من الحجر الو العظم غير مدى فعالية هذه الأداة أو تلك وقدرتها على الأداء وظيفتها. والذي يعنينا في هذا المقام التأكيد على أن الإنسان لجأ إلى التجسيد أول ما لجأ من خلال صياغة علاقته بالطبيعة ومحاولته السيطرة عليها .وعلى هذا النحو نشأ النحت لدى إنسان العصر الحجري.

وحين خطى ذلك الإنسان إلى تعارف الوجود واكتشف الزراعة كانت قد ظهرت الأسطورة التي امتلأت بالمفاهيم التي تشفي غليل سماعيها من مبررات وتفسيرات للوجود والظواهر الطبيعية ، الأمر الذي مهد لظهور الديانات والعقائد، وظهر فكرة الآلة والاعتقاد بالأرواح وإعادة البعث. وسرعان ما تجسدت تلك الأساطير وهذه الأديان في أعمال النحت. بعد أن بني الإنسان لأديانه هياكل زين جدرانها بخيالاته وأساطيره عن العالم الآخر رسما ونقشا ونحتا.

وهنا انتقل النحت من مجرد صنع لأدوات الصيد والأسلحة إلى أن يصبح ذو مضمون.

ثم تطورت أساليب النحت واتجاهاته مع تطور الحياة الإنسانية لتتلاءم ذلك مع ظروف الإنسان في كل عصر .

حيث لم يعد النحت في العصور الحديثة انعكاسا للعقائد الدينية والأوضاع الاجتماعية كما كان طيلة عهود الحضارات والعصر الوسطى بل أخذ ينحو منحى تعبيرا جديدا ، ليواصل بذلك دوره التاريخي في تجسيد التطور المادي والروحي للإنسان . وحين يقول بعض فلاسفة الجمال: أن الفن هو تلك القدرة الفعالة على إحالة كل شيء إلى تعبير ، فإنهم يعنون بهذا القول أن أي موضوع تمد إليه يد الفنان لا يمكن أن يظل بمجرد موضوع ، بل يستحيل إلى ظاهرة تحمل في باطنها من التعبير ما يجعلها متضخمة بالقيم والمعاني والدلالات ، عامرة بالمشاعر والعواطف والانفعالات [1] .

وهكذا يستطيع الباحث أن يؤكد على أنه للنحت خصائص جمالية تجعله يتخذ مكانته المتفردة بين فروع الفنون المختلفة، حيث كان النحت أول أشكال الفنون التعبيرية التي لجأ إليها الإنسان وأبدعها منذ التاريخ البعيد، كما أنه كان أول الأشكال الفنية التي يعبر بها الطفل عن نفسه. حيث يظهر ميل الأطفال إلى التجسيد قبل أن يظهر لديهم الاهتمام بالرسم أو بالفنون الأخرى، وتتلخص تلك الخصائص الجمالية في تلك العلاقات الثنائية التي يظهر من خلالها جمال الأعمال النحتية، كالكتلة والفراغ والنتوء والتجويف، والملمس الخشن والناعم، وعلاقات اتجاهات السطوح، والإضاءة والإعتام، وقيمة الخامة، إلى غير ذلك.

وكما أن هناك تربية للعقل وأصول للتفكير العلمي فإن هناك تربية للذوق الجمالي . ويضطلع النحت هنا بدور كبير في هذا المجال باعتبار قربه من الإنسان بالصورة التي سبق توضيحها، وتهدف تربية الذوق الجمالي إلى تنمية الشعور الجمالي. بالدرجة التي تسمح للجمهور بالاستمتاع بالأعمال الفنية الأمر الذي يكون سببا ونتيجة في نفس الوقت لتوازن الشخصية رقي السلوك في

عملية جدلية متنامية باضطراد، تتم في تواز مع عملية النم العقلي وتطور التفكير " بحيث أن ما يؤثر على الوجدان لابد في الوقت نفسه أن يؤثر على التفكير. فليست التربية الوجدانية عملية نفسية مستقلة تمام الاستقلال، أو منفصلة عن التربية الذهنية، بل هي جزء لا يجزأ من تلك العملية السيكولوجية المتكاملة التي اصطلحنا على تسميتها باسم (بناء الشخصية) " [١] .

ويقول (جون ديوي): "لا يمكن تمييز الخبرة الجمالية تمييزا حاسما عن الخبرة الذهنية، ما دام من الضروري لكل خبرة ذهنية أن تحمل طابعا جماليا حتى تكون هي نفسها تامة مكتملة"[٢] .

ويتعاظم دور النحت ، في العصر الحديث، في عملية تربية الذوق الجمالي، حيث أن إنسان ذلك العصر لهو في مسيس الحاجة إلى وعي جمالي يوقظ إحساسه بالقيم ويقل ذوقه.

إلا أن فن النحت . على ما له من علاقة تاريخية بالإنسان يحتاج إلى رعاية العديد من الهيئات الكبرى المسئولة التي تستطيع أن توجهه وتستثمره في الارتقاء بالذوق الجمالي لدى الجمهور.

ويقصد الباحث بذلك عدة أمور يأتي في مقدمتها:

١. أن تربية الذوق الجمالي من أكثر الوسائل فاعلية في اار إتاحة الفرصة أمام الحدث الصغير لكي ترتقي مشاعره وتصقل شخصيته. وهنا يقع على عاتق معلم التربية الفنية ان يهيئ الفرصة لتلاميذه . ليس فقط ليشاهدوا بعض روائع الفن الأصيلة. وإنما يجب عليهم أن يدعوهم إلى الممارسة ، وذلك حتى يستخدموا أيديهم في ممارسة بعض النشاطات الفنية التي يأتي في مقدمتها النحت ولا جدال.

٢. هناك العديد من الهيئات التي تنظم أنشطة فنية تلعب دورها الفعال كذلك في تربية الذوق الجمالي من خلال استخدام خامة الطين الصلصال وصنع التماثيل، مثل المتاحف الكبرى وقصور الثقافة والمكتبات المركزية.

٣. تشهد الفترة الأخيرة انتشارا جماهيريا واسع النطاق لمختلف أناع الفنون. والسبيل إلى ذلك بالنسبة لفن النحت هو اهتمام هيئة تجميل المدن بإقامة(تمثال الميدان وتمثال الحديقة) في مختلف أرجاء المدن وإقامة التماثيل الشخصية للأدباء والفنانين الزعماء والقادة العسكريين والعلماء والأكاديميين ورواد التربية ورجال التعليم.

ولنا في التجربة السوفيتية نموذج حي. حيث اهتمت الدولة . من خلال الهيئات المختلفة . بفن النحت بشكل عام من خلال الدعوى إلى إنشاء أعمال تجسد الروح المعنوية العالية فصار النحت بذلك أحد أكثر مجالات الفنون الجميلة قدرة على تنظيم وتطوير وتربية الوعي الجماهيري والذوق العام وتشكيل وعي ومعتقدات المواطن السوفيتي.

وقد نال فن النحت من الرعاية منذ بداية ثورة ١٩١٧ ما لم ينله غيره من الفنون الأخرى. حيث خرج الزعيم السوفيتي (لينن) في عنفوان حياة الثورة، في صيف ١٩١٨، بمشروع خطير وجرئ ،

طلب تنفيذه في وقت قصير ومحدود. هذا المشروع هو تزويد ميادين وشوارع موسكو ولينينجراد، بنصب تذكارية، وتماثيل لزعماء دول العالم الخارجي بشكل عام، وهكذا كان للنحت الدور الأهم في صنع الإنسان الجديد.

رابعا: كيفية تلقي النحت:

(نظرية التلقي. جمالية التلقي)

يرى الباحث، انه في إطار تفعيل دور النحت في تربية الذوق الجمالي، لابد من التطرق إلى نظرية التلقي وتبيان كيفية تلقي فن النحت وفق احدث النظريات في مجال النقد.

والحق أن التطرق(لجمالية التلقي) بمفهومها الحديث يتطلب الإشارة إلى أنها طرحت أصلا في مجال تلقي الأدب على يد (هانز روبرت ياوس) و(فولفجانج ايزر) على التفاعل بين المبدع والجمهور.

ذلك في إطار انتقاد المنهج الوضعي الذي عالج الأعمال الفنية على أساس أنها نتائج لأسباب مؤكدة، ومعارضة الشرح العلي لجماليات الإبداع غير العقلاني من ناحية ، ومن ناحية أخرى انتقاد مفهوم الانعكاس عند(جورج لوكاتش) و (لوسيان جولدمان).

ومن ناحية ثالثة الانتقاص من منهج الشكلانيين الروس لتعلقهم بجماليات الفن للفن، وعدم قدرتهم على الربط بين تطور الفنون والتطورات التاريخية الأعم.

" أما المنهج الجديد الذي يراه (ياوس) ملائما لدراسة تاريخ (الفنون) فهو الذي يجمع بين مزايا الماركسية (جورج لوكاتش ولوسيان جولدمان) والشكلانية الروسية ، وقد خرج (ياوس) من هذه الثنائية بما سماه(جماليات التلقي) والتي تركز على التفاعل بين المؤلف والجمهور"١ .

فالعمل الفني من وجهة النظر هذه له قدرات فنية جمالية تكمن في طبيعته ومرتبطة أصلا ببنيته. غير أن الجمال يوجد في الذات المتلقية للعمل الفني. وتكمن جمالية التلقي هنا فيما تسمح به قدرات العمل الفني(أو امكانيتة الجمالية من ناحية وكذا ما تملكه الذات المتلقية من رؤى جمالية.

أما فيما قبل ظهور نظرية التلقي فكان المبدع (المؤلف) يشغل مركز اهتمام الدراسات النقدية. وهو مركز التأويل والفهم والتفسير أي (المعنى في بطن الشاعر) ، قد التقت عند المبدع المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية. فترسخ في الأذهان ما سمى (بسلطة المؤلف) . ونتيجة لذلك ظهرت مفاهيم أخرى لدى الشكلانيين الروس كصورة من رد الفعل إزاء سلطة المؤلف الطاغية. فظهر في النقد البنيوي في فرنسا المطالبة (بموت المؤلف) والاهتمام بمفهوم النص. الموضوع أو العمل الفني ذاته في مقابل المبدع . أو الذات المنتجة. وهكذا ظهرت سلطة العمل الفني في مقابل سلطة المبدع.

وجاءت (نظرية التلقي) لتلقي الضوء على أهمية المتلقي ذاته كعنصر أهم ، فترد له الاعتبار بعد أن كاد يختنق بسبب طغيان سلطة المبدع من ناحية وسلطة العمل الفني من ناحية أخرى.

ولعل من الضروري هنا الإشارة إلى أهم أسس ومظاهر الاختلاف بين كل من (ياوس وأيزر)، رغم الإطار العام الذي يوحد بينهما . ذلك أن الناظم لأفكار وآراء (ياوس) هو التاريخ ،سواء تاريخ الأدب نفسه أو علاقته بالتاريخ العام، وهو ما يفسر طبيعة القضايا المركزية عنده. وهنا نجد أنفسنا أمام منظومة مفاهيمية تضع التلقي في إطار التاريخ وتقرا الأعمال الأدبية وتحكم على قيمتها الجمالية من خلال تاريخ التلقيات المتعاقبة.بينما يتجه (ايزر) وجهة أخرى بالتركيز على نظرية الواقع الجمالي والتي تبنى عنده على أسس ثلاثة:"(النص. القارئ. تفاعلهما)" [١] .

والحق أن مسألة التلقي والعلاقة بين العمل الإبداعي (الموضوع، المبدع . الذات المنتجة، والمتلقي . الذات المستهلكة، متلازمة وقديمة قدم المبدع والمتلقي معا. إلا أن هذا التلازم وذلك القدم لا يعني بالضرورة تنظيرا له أو وعيا به . الأمر هنا شأنه شأن قانون الجاذبية الأرضية الذي كان موجودا وفاعلا قبل أن يكتشفه (نيوتن). إلا أن الحديث عن الجاذبية يؤرخ بلحظة سقوط التفاحة وقصة اكتشاف القانون على يد (نيوتن).

هكذا يعزي إلى (روبرت ياوس) و(فولجانج ايزر) اكتشاف نظرية التلقي وكان ذلك في أواخر ستينات القرن العشرين في ألمانيا اعتمادا على الميراث الفلسفي الفني. ومنها انتقلت إلى فرنسا وأمريكا والكثير من دول العالم الأخرى.

إلا أن الباحث يجد نفسه أمام بديهية، مؤداها أن التلقي يختلف من بيئة إلى أخرى. الأمر الذي يراه مبررا للارتداد إلى محلية التلقي حيث لكل مجتمع إبداعاته وفنونه التي تميز شخصيته والتي يسعى إلى بلورتها وتميزها عبر مساهمات أبنائه الإبداعية في الأحقاب الزمنية المتتالية.

إن طرح الباحث لنظرية التلقي على هذا النحو في سياق مناقشة دور فن النحت في تربية الذوق الجمالي، لهو أمر له مغزاه الذي يتركز في منطقة الهدف بالنسبة لعملية التربية بشكل عام وهو المتلقي أو الذات المستهلكة.

وان كانت نظرية التلقي قد ظهرت في مجال النقد الأدبي، فإن الباحث يطرحها في مجال نقد الفنون التشكيلية وذلك في حدود معرفته بتاريخ النقد التشكيلي.

حيث يرى انه يمكن أن ينسحب نفس التفكير وذات النسق في مجال الفنون. ولا غرور في ذلك . فمتى كان النقد الأدبي والنقد التشكيلي منفصلان؟!. الم تظهر السريالية أول ما ظهرت في مجال الأدب على يد (اندريه بروتن وبودلير)!! ، وعلى أية حال فإن النقد الفني هو اكتشاف للقيم الحديثة التي يعبر عنها الفنان وإبرازها لتذوقها معرفة قدرها سواء كان ذلك في مجال الأدب أم في مجال الفن.

إن عملية تلقي فن النحت تأتي بلا جدال ، ضمن عملية تذوق الفنون الرفيعة بالمعنى الشامل. وهنا تكن أهمية التركيز على مهمة التربية الفنية أيضا وبشكل عام، في إطار تحقيق تنمية الوظائف الوجدانية لدى الفرد المتلقي وكذا تنمية الوظائف العقلية باتجاه تحقيق نمو متوازن للشخصية. عند ذلك يتم التفاعل بين المتلقي . الذات المستهلكة وبين العمل الفني . الموضوع وبين المبدع والذات المنتجة.

أي إن عملية تلقي فن النحت تمر عبر إثراء المتلقي بإمكانيات التأمل والمشاهدة والاندهاش وتنمية الوعي الجمالي والقدرة على النقد والتقييم بل والممارسة والإنتاج. وهي أمور كلها مترابطة وتأتي ضمن أهداف التربية الجمالية أو(التربية الفنية) التي تستهدف في نهاية المطاف إيقاظ الإحساس بالقيم . وتحقيق التوازن النفسي لشخصية الفرد بشكل عام انطلاقا من أن تكامل الشخصية رهن بأصالة الوجدان وصدق العاطفة.

ويمكن استثمار قرب فن النحت من الإنسان باعتباره مادة مجسمة ومحسوسة(الأمر الذي يميزه عن غيره من الفنون كما تمت الإشارة تواً) . في تغذية وإذكاء الحس الجمالي. ويمر ذلك عبر نفس الوسائل التي تمت الإشارة إليها بدءا من تهيئة الفرصة للمشاهدة وانتهاءا بتنمية الوعي الجمالي من خلال التفاعل بين الفنان والمتلقي.

خامسا: نتائج البحث وتوصياته

في نهاية البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يسردها الباحث فيما يلي:

أ. النتائج

١. إن رقي الذوق الجمالي وتطوره يتطلب تقدما وتطورا أيضا على المستوى الاجتماعي.

٢. إن الذوق الجمالي إنما يقوم على الإدراك العقلي والإدراك الجمالي معا

٣. أن التركيز على مهمة التربية الفنية أيضا وبشكل عام، في إطار تحقيق تنمية الوظائف الوجدانية لدى الفرد المتلقي.

٤. إن عملية تلقي فن النحت تأتي بلا جدال، ضمن عملية تذوق الفنون الرفيعة.

ب. التوصيات

١. ضرورة الاهتمام من جانب الأسرة بالجانب التربوي. حيث يجب ان تهتم بتنمية مواهب الطفل منذ الصغر وارتياد المعارض والمتاحف ومتابعة المهرجانات الفنية حتى ينمو الطفل على حب الجمال فيكون بذلك جزءا من تكوينه لا شيء دخيل عليه.

٢. الاهتمام بفن النحت كجزء أساسي من الأنشطة الفنية داخل المدارس وتوجيه النشء منذ حداثة سنهم لتذوقه وتهيئة الظروف حتى ينشئوا على ألفة لا تنقطع بالقيم الجمالية للأعمال النحتية.

٣ـ تثقيف النشء بمذاهب واتجاهات النقد الفني والأدبي بهدف تغذية روح الناقد بداخلهم ورفع مستوى ثقافتهم ، فعلى قدر ثقافته ، يرى المشاهد ومن البديهي أن الأعمال الفنية ذات المستوى الرفيع ليست في متناول تذوق الجمهور العادي.

٤ـ العمل على توجيه المؤسسات الكبرى لإقامة التماثيل بالميادين العامة والحدائق وتخطيط المدن، الأمر الذي لابد وأن ينعكس ايجابيا باتجاه تنمية الذوق الجمالي لدى العامة وإحداث حالة من التصالح مع الذات من خلال الراحة النفسية التي يحققها العمل الفني للمشاهد.

٥. تشجيع المتاحف وقصور الثقافة على زيادة فتح مدارس (مراسم) للموهوبين والهواة فيكون إنتاج الممارسين هنا على صلة التراث المعروض بكل متحف حسب نوعه.

٦. العمل على تكرار التجارب والمهرجانات الفنية الناجحة الخاصة بفن النحت والمتمثلة في سيمبوزيوم أسوان السنوي لنحت الجرانيت.

وهذا أمرا من شأنه التشجيع على ممارسة النحت وبالتالي تفعيل دوره في صقل الذوق الجمالي، حيث يتوفر في المحصلة مجموعة لا باس بها من الأعمال النحتية التي تمثل اتجاهات مبدعيها المختلفة ويمكن الاستفادة بها، وتوظيفها ووضعها أو إقامتها في الميادين العامة أو الحدائق الداخلية للهيئات الحكومية الكبرى كالجامعات حيث تجمهر أعداد كبيرة ومتجددة من الطلاب لمشاهدتها ، وربما كانت سببا لإقامة حوارات ومناقشات حولها من شانها أن تؤدي في النهاية إلى نشر الثقافة الفنية والوعي الجمالي واعتياد عامة الجمهور على عملية التلقي وصولا في النهاية إلى تربية الذوق الجمالي عن طريق فن النحت.

مراجع البحث :

١- **جورج بلينحانوف**: الفن والتصوير المادي للتاريخ ترجمة جورج طرابيشي –دار الطليعة للطباعة والنشر –بيروت لطبعه الأولى نوفمبر ١٩٧٧ ص ٢٣

٢- **جورج سانتيانا**: الإحساس بالجمال : تخطيط النظرية في علم الجمال : ترجمة د.محمد مصطفى بدوي مراجعه وتقديم د زكي نجيب محمود –الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠١ ص ٢٥.

٣- ـــ: المرجع السابق ص ٣٠

٤- **محمد علي أبو ريان** :فلسفة الجمال ونشاه الفنون الجميلة. دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ص ٩٢

٥- **جيمس هنري بريستد** :فجر الضمير ترجمة سليم حسن ،مراجعه عمر السكندري وعلي ادهم مكتبة مصر بالفجالة ١٩٨٠ –ص ٥

٦- **عز الدين اسماعيل** : الفن والإنسان –الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ٢٠٠٣ –ص ١٨

٧- **زكريا إبراهيم** : الفنان الإنسان مكتبة غريب ١٩٧٣ ص ١٤٤.

٨- ـــ: المرجع السابق ص ٩٨

٩- **محمود البسيوني** : تربية الذوق الجمالي –دار المعارف ١٩٨٦ ص ٢٨

١٠- **احمد احمد يوسف** :الفن السوفيتي دار المعارف بمصر ١٩٧١- ص ٣١٩.

١١- **سامي اسماعيل** : جماليات التلقي –الأعلى للثقافة القاهرة ٢٠٠٢ ص ٤٥

١٢- **عبد العزيز طليمات** : فعل القراءة بناء المعني وبناء الذات .دراسة ضمن كتاب : نظرية التلقي إشكاليات وتطبيقات . المملكة المغربية جامعه محمد الخامس منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم ٢٤ سنة ١٩٩٣ .ص ١٥٠.

ملاحق البحث

مختارات من الأعمال النحتية التي تمثل اتجاهات النحت في العصور المختلفة

رقم الشكل	الموضوع	رقم الشكل	الموضوع
١	ثلاثية الملك منكاورع-شست-الدولة المصرية القديمة	٧	موخينات العمل والفلاحة برنز-موسكو
٢	شيخ البلد ت خشب جميز-الدولة المصرية القديمة	٨	برانكوزي-القبلة-حجر
٣	حملة القرابين ت خشب مطلي بالجبس الملون-الدولة الوسطى	٩	كيبا نكوف-الشاعر مايا كوفسكي-برونز ت موسكو
٤	الصلاة-برونز-الصين-القرن ١٧/١٨	١٠	سيارة الشمس-معدن-المانيا
٥	ميكل انجلو-الرحمة-مرمر	١١	محمود مختار-حملة الجرة ت حجر
٦	هنري مور-الأم والطفل-حجر	١٢	كمال عبيد-وجه مصرية-طين محروق ملون

شكل١

شكل٢

شكل٣

شكل٤

شكل٥

شكل٦

شكل٧

شكل٨

شكل٩

شكل١٠

شكل١١

شكل١٢